تجليات الأمن اللغوي في العصر العباسي الثاني
(232 -590هـ/846- 1194م)

Manifestations of linguistic security in the second Abbasid era
(232 -590 AH / 846-1194 AD)

1- الاسم الكامل للباحث الأول* د. نجيب بن خيرة / جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)
nbenkheira@sharjah.ac.ae

2- الاسم الكامل للباحث الثاني ،عصام مصطفى عقلة،جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)
imokleh@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 12/13/ 2020 تاريخ القبول: 03/01/ 2021 تاريخ النشر: 30/06/ 2021

ملخص:

تعرض هذه الورقة البحثية إلى أن اللغة العربية لم تبق لغة الكتاب المقدس ، تحوي التعاليم و التراتيل ولا علاقة لها بمناشط الإنسان في الحياة ، بل إنها امتدت لتكون لغة المعبد و المعهد ، كما انساح أهلهافي البلاد المفتوحة و اختلطوا بالشعوب الأخرى ،وإشكالية الموضوع تدور حول سؤال جوهري وهو : كيف استطاعت العربية أن تتحول من لغة الفطرة إلى لغة عالمة لها قواعدها ومناهجا ، التي شجع الخلفاء و الأمراء والوزراء العلماء على التدوين فيها ، كما انبرى العلماء من الأدباء و اللغويين إلى التصنيف في نحوها وصرفها وضبط مفرداتها حياطة لها من الدخيل الذي يفسدها ، دون أن تبقى لغة معزولة ، منحسرة في ما نطق به الأعراب في البادية ،بل إن عنصر التحدي والاستجابة بارز في منازلة اللغة العربية للغات التي زاحمتها ، فعلى قدر التحدي كانت الاستجابة ، ووجدنا اللغة العربية تستوعب الدخيل ولكن بعد صقله وضبط اشتقاقه وتصريفه وتغير بنائه ،كل هذه الجهود تدخل في ما سميناه" بالأمن اللغوي " الذي يعني تحصين اللغة من كل ما يهدم بناءها المعرفي ، وبذل الجهد لجعلها لغة تستجيب لمتطلبات التطور و التقدم و النماء . وقد ركز البحث على فترة العصر العباسي الثاني وفي إقليم المشرق العربي على وجه الخصوص ، لما في هذه الفترة من زخم كبير في الجهود التي بذلها العلماء في هذا السياق ، وتعاقب الدول التي حكم فيها العرب و الترك و الديلم . وكيف ساهم الجميع في هذا الأمن خدمة للدين ، و المدنية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الأمن اللغوي، التعريب، اللحن والدخيل، العصر العباسي الثاني.

*- المؤلف المرسل

Abstract :

This research paper shows that the Arabic language did not remain the language of the Holy Book only, but extended to be the language of the temple and the institute, as its people spread and mixed with other nations, and Arabic was able to transform from the innate language into a scholarly language with its own rules and approaches, and with the encouragement of the caliphs and princes And the scholars ministers The caliphs, and scholars with different ethnicities and their families, including Arabs, Turk, and Daylem ... during the second Abbasid era, encouraged their codification in it, and the literati and linguists controlled grammar, the rules of exchange, derivation and others to preserve them from the intruder who corrupts them, without leaving an isolated language. Regardless of what the Bedouins uttered in the Badia. Indeed, the element of challenge and response is prominent in the struggle of the Arabic language with other languages. As much as the challenge was the response, and all these efforts are part of what we called. the security of the Arabic language.

Keywords: Linguistic Security - Arabization - allahn w aldakhil- The Second Abbasid Era

مقدمة :

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تعريف بالموضوع او إحاطة به ،مع طرح إشكالية البحث والتساؤلات الممكنة، وما يمكن أن يراه الباحث تبعا لنوع الموضوع. إن اللغة مرآة الأمة ، وسجل تراثها ، ووعاء فكرها ، وأداة التواصل بين أبنائها ، تعكس أحوالها عبر الزمن وتقلباته ،واختلاف النطق على ألسنة شعوبها ، ومن يتفقد اللفظ ويتدبر المعنى ويستقصي التاريخ ، يلحظ ذاك التطور والتغير من حال إلى حال ، كما تدل الأحافير و العاديات على حالة الأمم الغابرة .

و اللغة في حقيقتها ليست قوالب من الألفاظ تمرُق من بين الشفاه ،وتؤمِّن التواصل والاتصال بين البشر بقدر ما هي وسيلة العقل لفهم الكون والانسان و الحياة ،ومن زاويتها يتشكل التصور عن العالم ، وفق الثقافة والدين و البيئة و التربية وغيرها . وفي هذا يقول الفيلسوف هيدجر : "اللغة مسكن الوجود ، في حماها يسكُن الانسان. المفكرون والشعراء هم الذين يصونون هذا الحمى. وسهرهم عليه ، اكتمالٌ لانكشاف الوجود ، ذلك أنه بقولهم ، ينقلون هذا الانكشاف إلى اللغة ويَصُونونَه داخلها"[1].

ومن هذا المنطلق لم ينكفئ العرب داخل جزيرتهم ،ويكتفوا بتقديس العربية لأنها لغة الوحي الذي أنزل عليهم ، بل انساحوا في البلاد ينشرون لغتهم ، ويسمون ما استعاروه من منجزات الآخرين بألفاظها ودلالاتها ، "على نحو ما فعل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين خطى خطوة نحو التعريب بانشاء دواوين الجند بالعربية ، وبنقش عبارات عربية على الدراهم الساسانية ، وكان جمع القرآن وتثبيت نصوصه ضمانا لوحدة اللغة ولتركيز أسسها ، وضربة موجهة ضد التمسك باللهجات ، هذا إلى أنه دستور الأمة والأساس الأول للتشريع "[2] .

وبعد جمع القرآن توسع التدوين مع حركة الاستقرار التي أعقبت الفتح ، وانصرفت الجهود بعد ذلك إلى جمع اللغة و الشعر ، ووضع النحو الذي أصبح قانونا ضابطا لشِرعة اللغة :تركيبا ودلالة .

---

1 . محمد طواع. **شعرية هيدجر: مقاربة أنطلوجية لمفهوم الشعر**. منشورات عالم التربية، 2010م، ص 74.

2 . عبد العزيز الدوري . **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام** .ط2، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية . 2007م ، ص17.

"وإذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان فإن علوم العربية هي معجزة العرب ، و الحق أن ذلك العمل العظيم الذي تم في عصر التدوين على مستوى جمع اللغة وتقعيدها كان بالفعل أشبه شيء بالمعجزة ..وتم الانتقال بلغة قائمة على الفطرة و الطبع ، ولا يمكن تعلمها ولا فهمها إلا بالعيش وسط القبائل التي تتكلمها ، إلى لغة قابلة لأن تُكتسب وتُتعلم بنفس الطريقة التي يُكتسب بها العلم : طريقة المبادئ و المقدمات و المنهجية الصارمة ، وإن شئت فقل :انه الانتقال باللغة العربية من مستوى اللاعلم إلى مستوى العلم.." [1] .

ومع نهاية القرن الثاني الهجري بلغ التدوين أشده ، وكما رحل العلماء لجمع الحديث الشريف فإن اللغويين أيضا رحلوا لجمع اللغة من أفواه أهل البادية . وقد أورد الدكتور محمد حسين آل ياسين مسردا بأسماء الأعراب الذين نقلت عنهم اللغة حتى نهاية القرن الثالث الهجري [2].

ومهما يكن فإن حركة الجمع و التدوين جاءت بتراث ضخم عكف عليه الدارسون يستخلصون منه معظم ألفاظ العربية ، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها وضوابط شعرها وأساليبها البيانية وخصائصها التعبيرية ، كما اختص آخرون بشرح ألفاظها وتفسير غريبها ، مما ينبئ عن جهود هائلة قام بها الأوائل في مجال العناية الدقيقة باللغة العربية وتحقيق الأمن لها من خلال جمع أصولها ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة ، مما مثل صفاء لغويا وجب النسج على منواله والاحتكام إليه والاحتجاج به بعد ذلك [3].

وإشكالية البحث تدور حول سؤال جوهري هو : هل تركت اللغة العربية بما تحمله من قوة المدافعة ، وظهير الوحي تواجه اللغات الهاجمة على مملكتها أم أن هناك جهودا بذلت

---

1 . محمد عابد الجابري . **تكوين العقل العربي** . ط9، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص80.

2 . محمد حسين آل ياسين . **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث** .ط1، بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1980من ، ص 71-77

3 . أنظر: سليمة برطولي . **جهود علماء العربية في الحفاظ على السلامة اللغوية** . رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية -جامعة الجزائر، 2008-2009م ، ص 36.

من قبل السلطان و العرفان لحمياتها وتوفير الأمن لها ؟

إن العرب لما اختلطوا بغيرهم ، راح العلماء يضبطون قواعد اللغة التي يسير عليها إعراب المفردات ليسهل تعلمها وتعليمها واحتذاؤها في الحديث و الكتابة ، كما عرضوا لكثير من الموضوعات المتصلة بأجزاء الجملة وترتيبها ، وأثر كل جزء منها في الآخر ، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض ، وطريقة ربطها ، وأنواع الجمل ، وعلاقة الجمل التي تتألف منها العبارة ، وأقسام الكلمة وأنواع كل قسم منها ، ووظيفته في الدلالة ...كما ضبطوا الصرف الذي موضوعه ضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغير أبنيتها ..إلى غيرها من الجهود التي قام بها أعلام الباحثين من البصرة و الكوفة وبغداد ومصر وغيرها في العصرين الأموي و العباسي ... 1

كل هذه الجهود يمكن أن نعبر عنها بالأمن اللغوي الذي يعني تحصين العربية الفصيحة من كل ما يدخل الخلل إلى نظامها المعرفي الذي تكوّن عبر الزمن ، كمعطى تاريخي ، ولكن يجب أن ننظر إليه بعين النقد ، ولا نُبقي على ما تم جمعه من لفظ ومعنى وإشارة من عالم الأعراب و يتم اعتماده والحجة به ، بل أن تعلو هذه اللغة على التاريخ وتستجيب لمتطلبات التطور و التقدم و النماء .

وقد بُذلت جهود في التاريخ لأمن اللغة العربية في التاريخ الإسلامي من خلال دراسات وأبحاث سابقة عالجت هذا الموضوع من زوايا مختلفة[2] ، ويكفي أن نذكر ما هو أقرب إلى موضوعنا مما قدمته الباحثة (أروى بدوي عبد الصمد الطاهر) في رسالتها

---

1 . انظر: علي عبد الواحد وافي . **فقه اللغة** . ط3، القاهرة : نهضة مصر ، 2004م ، ص 205

2 . مثل : الأحمد، آلاء محمد محمود، **حركة الاحتجاج بلهجات القبائل إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2008م. البرير، آمال هاشم أحمد، **جهود العلماء في التصحيح اللغوي حتى القرن الرابع الهجري في ضوء علم اللغة الحديث: دراسة وصفية**، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الاسلامية، 2000م. ، . عبد العزيز الدوري . **الإسلام وانتشار اللغة العربية و التعريب** . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1981م ، مج 3، ع 24، ص 38-61، السوالقة، عبدالمجيد، **أمن اللبس وأثرة فى التطور اللغوي**، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2016م.

للماجستير الموسومة بـ :" **تاريخ أمن اللغة العربية - نشأته وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الأول** " في قسم التاريخ و الحضارة الإسلامية بجامعة الشارقة 2020/219م ، وقد جاء هذا البحث المتواضع تتمة لما كانت قد بدأته الباحثة المتميزة . ليعالج الأمن اللغوي في العصر العباسي الثاني . معتمدا المنهج التاريخي الاستقرائي القائم على الوصف و النقد و التحليل حين يلزم المقام .

أولا- محتوى النص

1. اللغة العربية لسان الملة وشعار الإسلام

2 . الفتح الإسلامي وملحمة التعريب

3. تحديات الدخيل و اللحن على اللغة العربية

4 . تجليات الأمن اللغوي في جهود الخلفاء والأمراء و الوزراء (نماذج مختارة)

5 . تجليات الأمن اللغوي في جهود العلماء (نماذج مختارة)

6 . الخاتمة ونتائج البحث

7 . توصيات

1. اللغة العربية لسان الملة وشعار الإسلام

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، وعلى أساليبهم في الكلام ، وعلى نمط نطقهم في حقيقتهم ومجازهم ، أدهشت نوابغهم ، وأخرست بلغاءهم ، فقهرتهم عبقريته وهم ألوف ، عن أن يأتوا بمثل سطر منه أو كلمات أو حروف...

وفي هذا المعنى يقول الرافعي . رحمه الله : "نزل القرآن بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا. فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه ، إذ النور جملة واحدة ، وإنما يتجزأ باعتبارٍ لا يُخرجه من طبيعته ، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارَض بشيء إلا إذا خُلقت سماء غير السماء ، وبُدِّلت الأرض غير الأرض ، وإنما كان ذلك لأنه صفّى اللغة من أكدارها ، وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها ، فجاء بها في ماء

الجمال أملأ من السحاب ، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب..."[1] .

ولما كانت اللغة العربية ، هي لسان الوحي ، واللغة الرسمية للإسلام فقد أفاض القرآن الكريم على هذه اللغة من معينه الغزير ، وحفظها على مرّ العصور جديدة غضّة لا تبلى مع تقادم العهد ، واطراد الزمان ، فاتخذتها شعوب لا حصر لها لسانا ، وأخذت بها ولم تجد عنها مرْغبًا ولا محيدًا. وأصبحوا عربًا يعبّرون بالعربية عن بنات أفكارهم ، وخلجات أفئدتهم ، وصارت لغة العرب لغة الحياة المنبسطة ، تصرفها الألسنة والأقلام في مناحي من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي. ولولا هذا الكتاب الكريم لما وُجد على الأرض من يعرف كيف كانت تنطق العرب بألسنتها ، وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها.

وقد نجحت العربية في استيعاب مضامين الوحي الأعلى وكل ما يحويه من عقائد وتشريعات وأخلاق ، ولم تلبث أن انفتحت على منجزات العصر ولو كانت من غير بيئتها الأولى.

وفي مدة وجيزة ومع عصر حكم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استحدث المسلمون الدواوين ووطنوا الإدارة في بلادهم واستعملوا الإحصاء و التدوين مما لا عهد للعربية و العرب به ، فاتسعت العربية لهذا الوافد الجديد واستوعبته دون كلال ، ومدّت المصطلح و اللفظ من غير عياء ، وتلك حيوية كامنة فيها ، كان مبعثها ما وصلت إليه اللغة من نضج ، جعلها لغة الكتاب المنزل ، وهو بدوره هذا الكتاب مدّ رواقها إلى جميع مناشط الحضارة ، فأضحت لغة المعبد و المعهد على حد سواء .

ولعل الثعالبي أحسن من عبّر عن هذه المزية في العربية ، التي حرص عليها أهلها ، وصانوا شرفها كما يحرص الشريف على أعزِّ كرائمه ، وأخص مميزاته فقال :" من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ومن أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العرب ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ومن أحبَّ العربية عُنِيَ بها وثابر عليها وصرف همَّته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره

[1] . مصطفى صادق الرافعي. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت). ص74.

للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة.

والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزناد للنار.

ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة لكفى بهما فضلا يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره...."[1].

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "وعلوم اللسان العربي أركانه أربعة: وهي اللغة ، والنحو ، والبيان ، والأدب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذْ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة ، وهي بلغة العرب ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"[(2)].

والذي يتتبع مسار العلم في الحضارة الإسلامية يدرك أنه كان من أوكد الأصول أن يتقن كل عالم في أي علم لغة العرب ، ويدرس نحوها ودلالات ألفاظها وأساليب العرب في التعبير بها ، فهي من علوم الآلة التي لا بد منها لإدراك ما يحصلونه من علوم ، وما يصنفونه من معارف .

إن المسلمين يعرفون أن لا إسلام بلا قرآن ، وأن لا قرآن إلا بالعربية ، وأن الصلاة لا تصح إلا بها ، ولم ترتبط لغة حيّة من لغات العالم بكتاب إلهي ، جعل منها لسان الملة وشعار الدين مثل اللغة العربية ، وهذا الذي حدا بأقوام من غير العرب أن يخدموها دراسة وتأليفا ، وتنتقل من لغة قوم إلى لغة أمة ، بل إنها تمنح الجنسية لمن يتحدث بها ،وذلك لما جاء في الأثر:" من تكلم العربية فهو عربي " .

---

1 . أبو منصور الثعالبي . **فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت : إحياء التراث العربي، 2002م، ص 15.

[2] . ابن خلدون. **المقدمة.** بيروت: دار الفكر، 2002م.ص565

ولما كان الإسلام يتمدد باستمرار كان يمنح العربية قاعدة أرحب ومجالا حيويا نشطا ، قال الحجاج لأهل الكوفة " لا يؤمكم إلا عربي " فوثب البعض بالقارئ يحيى بن وثاب ليمنعوه من الصلاة بالناس ، فأنّبهم الحجاج قائلا :" ويحكم إنما قلت : عربي اللسان " [1].

2 . الفتح الإسلامي وملحمة التعريب

لاشك أن الهجرة العربية التي رافقت الفتح الإسلامي لإقليم المشرق كانت عاملا قويا في استقرار العرب في أقاليم مختلفة مشرقا ومغربا ، فتمازج العرب الفاتحون مع أهل البلاد المفتوحة في مصر و الشام و العراق وفارس و السند وبلاد المغرب والاندلس .. ، واتصلوا بأجناسها وثقافاتها ودياناتها ، فاتصلوا بالأجناس الآرية حين اتصلوا بالفرس ، واتصلوا بالمغول حين اتصلوا بالأتراك ، وعرفوا الديانة الزرداشتية في فارس ، كما عرفوا البوذية في الهند وعند القبائل التركية ، وطالعتهم هذه الثقافات في إيران والهند... فكان من ذلك كله أن اتّسعت من أمامهم الآفاق في السلطان والعرفان والعلم...وتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين ، "وكسبت اللغة العربية من المتكلمين بها أضعاف من كان يتكلم بها من عرب الجزيرة"[2] .

و المعروف أن الفتح الإسلامي لم يكن فتحًا عسكريا فحسب إنما كان فتحًا بشريا أيضا. وكانت سياسة مرسومة في العصر الأموي لتوطين العنصر العربي في تلك البلاد. وما كان القرن الأول للهجرة ينتهي حتى انتشر العرب في أقاليم واسعة وانطلقت لغتهم لتنشر أصواتهم في أوساط لغات البلاد المفتوحة ،كما تلقى العرب أصداء هذه اللغات،وحدث مزج هائل في الدماء و الثقافات ، وتجاوبت المذاهب و اللغات ، وكان لذلك أثره في اللسان العربي الذي انعكست فيوضه على الحياة الأدبية جميعا[3] .

---

1 . البلاذري ، أحمد بن يحيى. **جمل من أنساب الأشراف**. تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، بيروت : دار الفكر، 1996 م، ج11/ص200. عبد العزيز الدوري . **أوراق في التاريخ و الحضارة** . ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2007م ، ج4/ص121. .

2 . أحمد أمين . **ضحى الاسلام** . ط10، بيروت : دار العلم للملايين . ج2/248.

[3] . أنظر : شكري فيصل. **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**. ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م. ص218

وأول ما يلفت النظر في هذا الأمر انتشار اللغة العربية ، واستخدامها لغة أدب وحديث طوال أكثر من قرنين من الزمن ، فبعد الفتح واعتناق غير العرب الإسلام ، واختلاط العرب بهم في البيوت والأسواق والمناسك و المساجد ،و تصاهروا في ما بينهم ، واندمجوا مع بعضهم وتخاطبوا باللغة التي تواضعوا أن يتخاطبوا بها وهي اللغة العربية ، وشعر غير العرب بضرورة تعلمها ، كما أحسّ العربي بضرورة الترفق بالأعجمي ليحمله على تعلمها ،" وفي الأيام الأولى للمملكة الإسلامية المترامية الأطراف ، لم يكن غالبية السكان من أحاديي اللغة العربية. مما أدى تفاعل اللغة العربية مع اللغات الأخرى إلى استعارة مفردات جديدة أثرت اللغة في مجالات مثل الحكومة والإدارة والعلوم ، بالإضافة إلى الموارد الداخلية الغنية للغة العربية ، مكّن اللغة من أن تصبح وسيطًا مناسبًا لحكم إمبراطورية شاسعة"[1] . كما آمن الجميع أنها لغة القرآن الكريم والمتعبَّد بها في الصلاة ، و ارتبط في أذهانهم بأنها لغة الإسلام الذي اعتنقوه وتعصبوا له ، ووجدت اللغة العربية من قلوب الناس وألسنتهم مكانًا ساميًا أصبحت به لغة الثقافة والعلم والحضارة.

والحق أن التعريب لم يكن مجرد الانتشار الذي حدث للغة العربية ، عندما استبدلت باللغات القديمة في البلاد التي تعربت ، ولم يكن التعريب عطاءً فقط من الفاتحين العرب المسلمين ، إنما كان تفاعلا بين الفاتحين العرب المسلمين وفكرهم الجديد وبين المواريث الحضارية الصالحة للاستلهام لدى شعوب البلاد المفتوحة. فهذا التفاعل هو بلورةٌ لمولود حضاري جديد هو الحضارة العربية الإسلامية التي جاءت ثمرة هذا التعريب ، الذي هو الميلاد الحقيقي لهذه الحضارة الجديدة.

لقد كان دخول الإسلام يعني تعلم العربية ، وفتح المجال للمشاركة في الثقافة العربية ، كما فعل الكثير من الموالي ، ويقابل ذلك الشعور لدى جماعات من العجم أن دخول الإسلام يعني الانتماء إلى العرب ، وتكاد العربية أن تكون مرادفة للإسلام في الفترة الأولى. فلما سأل أبو جعفر المنصور أحد الموالي عن هويته قال: "إن كانت العربية لسانًا فقد

---

[1]- The Arabic Language. An encyclopedia Of Islamic . Samir Abu-Absi history.https://historyofislam.com.

نطقنا بها ، وإن كانت دينًا فقد دخلنا فيه"[1].

وقد بدأ عمر ابن الخطاب أول خطوة نحو التعريب بإنشاء دوواين الجند بالعربية ، وينقش عبارات عربية على الدراهم الساسانية ، وكان جمع القرآن وتثبيت نصوصه ضمانا لوحدة اللغة العربية وتركيزا لأسسها وضربة موجهة ضد التمسك باللهجات ، هذا إلى أنه دستور الأمة والأساس الأول في التشريع [2].

و كان لسياسة التعريب التي اتخذها الأمويون قبل ذلك والتي رسمها عبد الملك بن مروان ، واحتاجت قرابة نصف قرن لتمامها ، أثرها البالغ في نشر العربية ، شملت تعريب النقد وإصلاحه ، مما كان له أثر في استقلال الخلافة اقتصاديا ، وفي ارتفاع شأن الدينار العربي ليصبح بعدئذ عملة دولية في الشرق والغرب ، ويهمّ هنا تعريب الدواوين المالية التي كانت تستعمل الفهلوية في المشرق واليونانية في مصر والمغرب لتحل العربية محلها. ويعني تعريب الدواوين إغناء العربية ، كما يعني حاجة العاملين في دواوين الدولة لإتقان العربية أو تعريبهم ، لتصبح لغة الثقافة والحضارة بصورة شاملة وللجميع في بلاد الخلافة ، وتوسيع نطاق التعريب في المدن [3].

كما كان للقيادات العسكرية الأموية دور في ترسيخ العربية ونشرها بين السكان المحليين في البلاد المفتوحة ، فقد فرض قتيبة بن مسلم الباهلي درهمين لكل من يؤدي صلاة الجمعة بالمسجد الجامع في بخارى[4]. ولما كانت العربية غير مفهومة تمامًا للجميع ، كان يُكلف شخصٌ بالوقوف وراء المصلّين ليصيح حين الركوع و السجود باللغة المحلية كي

---

1 . البلاذري، أحمد بن يحيى. **أنساب الأشراف** . تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي،ط1، بيروت :دار الفكر ، 1996م . ج4/ص149.

2 . عبد العزيز الدوري . **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام** .ط2 بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007م ، ص17.

[3] . عبد العزيز الدوري. **الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب**. ..مرجع سابق . ص61.

[4] . النرشخي. أبو بكر محمد بن جعفر. **تاريخ بخارى**. تعريب: عبد المجيد بدوي، وتصر الله مبشر الطرازي، ط3، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).. ص78.

يفهموا ما المطلوب منهم[1] ، كما أن الضرورة العملية فرضت على الكثيرين من أهل تلك البلاد أن يتعلموا العربية حتى يظفروا بنصيب طيّب في الحياة الجديدة ، كمنصب يتولّونه أو علم يتعلمونه ويعلِّمونه ، أو حاجة يريدون قضاءها عند ذي سلطان.

وانتشرت العربية بين الناس ، واستخدمها العلماء ، فهي حديثهم العادي ، مع معرفتهم بلغاتهم أو غيرها من اللغات الأعجمية ، كأبي بكر محمد بن المؤمل الماسرجسي (ت350هـ/961م) الذي قال عنه الحاكم النيسابوري: "صحبْتُه في السَّفر والحضر فما رأيته يتكلم بالفارسية ، إلا مع من يعلم أنه أعجمي لا يحسن العربية"[2].

ونقل دولتشاه السمرقندي (ت900هـ/1494م) أن أمير خراسان عبد الله بن طاهر (ت230هـ) "أهداه شخص كتابًا ، فلما سأله عنه ، قال: هذه قصّة وامق وعذراء ، وهي حكاية جميلة كان الحكماء قد جمعوها باسم الملك أنو شيروان ، فقال الأمير: إننا أناس قارئون للقرآن ، ولا نريد شيئا غير القرآن وحديث الرسول ρ ، لا حاجة بنا إلى هذا النوع من الكتب ، فهذا الكتاب من تأليف رجال الدين الزرادشتي وهو مردود عندنا. ثم أمر بإلقاء الكتاب في الماء ، وأصدر حكمه بإحراق أي كتاب من مؤلفات العجم ورجال الدين الزرادشتي يُعثر عليه في أي مكان ضمن حدود ولايته"[3].

لكن مثل هذه الممارسات الاحترازية التي تبدي نوعا من التعسف لم تكن لتمنع ما كان حدوثه حتميًّا ، وهو التأثر والتأثير بين العربية والفارسية مثلا . وقد مضى القرنان الأول والثاني للهجرة ولا يكاد يُكتب في بلدان المشرق بغير العربية ، مما حدا بأحد الباحثين الطاجيك للقول: "إن فترة القرن الثاني للهجرة وما قبلها كانت فترة نشطة بالتيار اللغوي

---

[1] . المصدر نفسه.

[2] . السمعاني. عبد الكريم بن محمد . **الأنساب**. تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962 م، ج12/ص 35.

[3] . دولتشاه بن بختي السمرقندي . **تذكرة الشعراء**. حان صاحب ميرزا محمد ملك الكتاب،، 1900 م ، ص26، وانظر: جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**. مرجع سابق. ج3/ص45.

العربي"[1].

ولا شك أن اللغة العربية حظيت بهذه المنزلة في الأقاليم المفتوحة لما اتسم به أدبها من قوة وازدهار، وما تحلّى به العرب الفاتحون من تسامح واقتدار. وفي هذا يقول المستشرق الروسي بارتولد:

"ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأن العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء، ولكنهم أنشأوا منذ القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) لغة أدبية متقدمة في ساحة الفكر تقدمًا واضحًا، وأخذت البلاغة والشعر مكانة عظيمة عندهم، واختُرعت الأشكال الأدبية المعلومة اليوم، والنثر المسجع وأنواع عديدة من الأوزان، واتخذت المنظومات أساليب معروفة، فراج قرض الشعر كثيرًا وتنوعت أغراضه..."[2].

وإذا كان الطاهريون هم أول المستقلين عن الخلافة العباسية في خراسان فإن أميرهم أمر بإحراق منظومة فهلوية قديمة، تتضمن قصة حب " وامق وعذر" وهو يقول :" نحن قوم نقرأ القرآن و الحديث، وهذا كتاب للمجوس فهو كتاب ملعون"[3].فإن الدولة السامانية حرص أمراؤها على تشجيع تصنيف العلوم باللغة الفارسية وبالرغم من علاقتهم المضطربة مع الخلافة العباسية، إلا أنهم في الواقع يظهرون إيمانًا دينيًا قويًا، وتقدمت أسلمة آسيا الوسطى بسرعة في ظل حكمهم[4]، وبين هذا وذاك وفي خضم صراع الهويات خلال فترة الدراسة، فإن الغلبة المؤقتة للغة العربية في ميادين الحياة لم تصمد طويلا في بلاد فارس نتيجة التراجع في جهود الأمن اللغوي تارة، والاستعلاء الكاذب

---

[1]. مردانوف. **ازدواجية اللغة**. ص223. نقلا عن: الثامري، إحسان ذنون عبد اللطيف. **الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الأولى**. ط1، إربد: مركز ناصر للخدمات الجامعية، 1999م، ص110 . 111.

[2]. ق. بارتولد. **تاريخ الحضارة الإسلامية**. ترجمة حمزة طاهر. ط5، القاهرة: دار المعارف، (د.ت). ص6.

[3] - M.J.Darmesteter.**Les Origines de La Poesie Persane**.Paris:Ernest Leroux,1887,P8

[4] - Babak Ershadi. **Les Samanides et la résurrection de la langue persane**. N° 141, août 2017, http://www.teheran.ir.

من العرب تارة أخرى ، ومع ذلك ظلت العربية المرتبطة بالكتاب الحكيم لم يضعف شأنها في مجال التصنيف و التأليف إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، والانتاج الأدبي فيها أكثر من الفارسية بما لامجال فيه لعقد الموازنة . كما ظهر البلغاء المعروفون الذين يتقنون اللغتين إلا أن درجة الإجادة في اللغتين ليست واحدة[1]، كما عند كثيرين لا يتسع المقام لذكرهم في هذا المقال .

3: تحديات الدخيل و اللحن على اللغة العربية

نشأ اللحن قديما عند العرب ، وكان ذلك أظهر مع الإسلام حين امتزج العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس التي أثرت لغاتهم في العربية فانحرفت أصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالات ألفاظها ، قال الزبيدي(ت379هـ / 989م) :" ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا إليه أرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة و اللغات المختلفة ، ففشا الفساد في اللغة و العربية ، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها و الموضوح لمعانيها ..." [2]. وقد أجاد ابن الأثير في وصف تلك الحقبة فقال :" كان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل ، ولا يتطرق إليه الزلل ، إلى أن فتحت الأمصار و خالط العرب غير جنسهم من الروم و الفرس و الحبش و النبط ، وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم ، وأفاء عليهم أموالهم ورقابهم ، فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات "[3] .

وقد حظيت اللغة العربية على مرّ العصور بعناية فائقة ، وخصّها أهل اللغة بالتأريخ

---

1 . حسين مجيب المصري . **صلات بين العرب و الفرس و الترك – دراسة أدبية تاريخية** . ط1، القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، 2001م ، ص 115-116.

2 . الزبيدي، أبو بكرمحمد بن الحسن . **طبقات النحويين و اللغويين** .تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2، القاهرة : دار المعارف ، ص 11 م.

3 . ابن الأثير . مجد الدين أبو السعادات. **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق : طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي ، بيروت : المكتبة العلمية ، 1979م، ج1/ص5.

والجمع والاستنباط ووضع القواعد. كل ذلك بغية المحافظة عليها ، وصيانتها من العجمة ، واللحن ، والتصحيف ، والتحريف ، خاصة وأن أهلها تمازجوا مع الأمم الأخرى ، واختلطوا بها ، حتى بدأت اللغة تلتوي بعد سلاستها ، وتمرض بعد سلامتها ، وطار اللحن[1] في جنباتها ، وخيفت عليها عاقبة الفساد والشَوْب. ولربما استُسيغ اللحن القبيح ، ورُدَّ السالم الفصيح ، لانحراف الطبع وفساد الذوق .فتقدم الأكفاء من أبنائها يذودون عن حياضها ، ويدفعون أسباب العجز عن سليقتها ، وتوافقت الهمة الإنسانية مع قدرة هذه اللغة على النماء ، وبقائها على شباب الدهر مهما خالط أهلها من رقة الطبع ، ورخاوة العيش ، وعلل الحضارة .

ومع أبناء النازلة من العرب في البلاد المفتوحة ، تجلى اللحن لأنهم لم ينشأوا في البادية مثل آبائهم ولا تغذّوا من ينابيعها الفصيحة ، إنما نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأعاجم اختلاطًا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم وفصاحتهم ، على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك وكثرة ما كان يجري على لسانه من اللحن[(2)]. وكان كثير من أبناء العرب ولدوا لأمّهات أجنبيات أو أعجميات ، فكانوا يتأثرون بهن في نطقهن لبعض الحروف وفي تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية[3]. وكل ذلك جعل الحاجة تمسُّ في وضوح إلى وضع رسوم يُعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم[4].

وقد حرص الموالي . وخاصة موالي العراق . على وضع علم يسهّل عليهم تعلّم اللغة العربية

---

[1] - لحن الرجل في كلامه: أي أخطأ. والتلحين: التخطئة. واللحن بفتح الحاء: الفطنة. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة (لحن). وقال الزمخشري : لحن في كلامه ، إذا مال به عن الإعراب و الخطأ " . أنظر: **أساس البلاغة** . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998م ، ج2/ص 163.

[2] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر **البيان والتبيين**. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، (د.ت).ج2/ص204، ابن قتيبة الدينوري. **عيون الأخبار**. بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت). ج2/ص158 . 167.

[3] - المصدر نفسه. ج1/ص72، ج2/ص204.

[4] - شوقي ضيف. **المدارس النحوية**. ط5، القاهرة: دار المعارف. (د.ت). ص12.

لدينهم ودنياهم فوضعوا علم النحو. وكان طبيعيا أن ينشأ ذلك في العراق لا في الحجاز ولا في الشام؛ لأن الحجاز لم يكن في حاجة إلى قواعد يقيم بها لسانه ، لأن موالي العراق أكثر رغبة من موالي الشام ، لما علمت من أن رغبة الفرس في العربية كانت أكثر من رغبة سواهم ، ولأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام ، وكان لها قواعد نحوية ، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية ، خصوصا واللغتان من أصل سامي واحد ، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريون أولا ثم الكوفيون ، وفاق البصريون لقربهم من بادية العرب ، وبُعد الكوفيين عن البادية الفصيحة[1]

"والحق أن المدرسة البصرية كانت أدقّ حِسًّا من المدرسة الكوفية في الفقه بدقائق العربية وأسرارها ، فقد تعمقت ظواهرها وقواعدها النحوية والصرفية تعمقًا أتاح لها أن تضع نحوها وضعًا سديدًا قويمًا. بل لقد بلغ من تعمقها أن أخذت تصحح ما ندّ عن بعض الشعراء عن طريق التأويل والتخريج والتحليل الدقيق البصير ، لا على أسس عقلية فحسب ، بل أيضا على أسس سليقية ، مما سال في فِطَرِ عباقرتها من أمثال الخليل واضع العروض ، وسيبويه مُشرّع النحو وصائغ قواعده وقوانينه"[2]

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ كلاً من مدرستي البصرة والكوفة شاركتا في بناء النحو الشاهق ، وساهمتا في نشأة وتطور علوم اللغة والنحو ، فألّفوا فيها التآليف الكثيرة ، ثم أُخذت عنهم ونُقلت ونُشرت في كافة أنحاء البلاد الإسلامية[3].

" وقد اتسمت اللغة العربية بالسعة التي تستعصي على الإحاطة الكاملة ، وتتأبى على الضبط الدقيق في أصواتها ومفرداتها واشتقاقاتها وتراكيبها وإعرابها ودلالات ألفاضها ، مما يعني أن التعدد في الاستعمال اللغوي أو في القاعدة المستنبطة من كلام العرب أمر وارد ورودا قويا يصعب معه الجزم بالإلزام بأحد الاستعمالين أو بإحدى القاعدتين مقابل منع الوجه الآخر.

---

[1]- أحمد أمين. **فجر الإسلام**. ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969م. ص183.

[2]- شوقي ضيف. **المدارس النحوية**. مرجع سابق. ص163.

[3]- خديجة الحديثي. **موسوعة حضارة العراق**. بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985م. ج7/ص215.

وهذا المنهج في الإلزام بأحد الوجهين أو الأوجه الجائزة مما يؤخذ على بعض المجتهدين في التصحيح اللغوي الذين لم يرضوا التعددية ، وذهبوا إلى أن الأصلح للغة و الناس أن يُفرض عليهم أقوى الوجهين ، ويغلّط الآخر" [1] .

ومع عصر الانفتاح الحضاري في العصر العباسي وصل اللسان الأعجمي إلى دواليب الحكم ومجالس العلم عن طريق الموالي و البرامكة وغيرهم فشاع اللحن حتى صار عادة بين العامة و الخاصة ، "وظل ذلك إلى القرن الرابع الهجري حيث صار اللحن مألوفا يوشك أن يكون غير معيب في أوساط المثقفين "[2] .

ويمكن أن نوجز أسباب تفشي اللحن و الدخيل في عدة عوامل منها :

1 . اختلاط العرب بغيرهم من الأمم و الشعوب الأعجمية .

2 . كثرة الموالي و الجواري وأمهات الأولاد الذين دبّ اللحن منهم إلى الأسر العربية والإسلامية عموما .

3 . التعصب العرقي و النزعة الشعوبية و الصراعات الحزبية مع اتساع رقعة المملكة الإسلامية مشرقا ومغربا .

4 . تساهل الأمراء و الوجهاء في التحدث باللحن ، بل ربما التمس له وجه صواب ، وبحث له عن تبرير ، فيصرُّ على لحنه ، ويأبى أن يعود إلى الصواب [3] .

ولعل حركة الشعوبية التي التي برزت في العصر العباسي كان من آثارها الغلبة السياسية و الإدارية للموالي العجم ، وامتداد سلطانهم في الحكم بالرغم من عروبة الخلفاء ، وبروز نخبة من المثقفين من غير العرب يصنفون الكتب في مناقب العجم ومثالب العرب

---

1 . خالد بن ابراهيم النملة . **مراجعات في التصحيح اللغوي** . مجلة الدرعية - المملكة العربية السعودية ، ع44-45،ديسمبر 2008م ،مارس 2009م م ، ص673.

2 . أنظر : عبد الفتاح سليم . **موسوعة اللحن في اللغة -مظاهره ومقاييسه** -، ط2، القاهرة : مكتبة الآداب ، 2009م ، ص76.

3 . عبد القادر رزق الراس ، محمد حاج هني . **اللحن في اللغة العربية أسبابه ، آثاره ومصنفاته** .مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، قسم الآداب و اللغات ، جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف – الجزائر ، ع19، جانفي 2018م ، ص34-39.

،على نحو ما فعل سعيد بن حميد البختكان الذي كان شاعرا مترسلا عذب الألفاظ ،فألف كتاب (انتصاف العجم من العرب) ، وكتاب (فضل العجم على العرب وافتخارها) ، كما ألف علاّن الشعوبي . وأصله من الفرس . كتاب (الميدان في المثالب) هتك فيه العرب ، كما كتب ابو عبيدة معمر بن المثنى وهو من أشهر العلماء في النحو و الأخبار كتاب (لصوص العرب) وكتاب (أدعياء العرب) ، كما ألف كتاب (فضائل الفرس) ، والظاهر أن أكثر هذه الكتب ضاعت عبر الزمن لاعتقاد المسلمين أن النزعة الشعوبية هي نزعة ضد الإسلام ، فتحرّجوا من نقل الكتب المؤلفة فيها ، وتقربوا إلى الله بإعدامها و و التخلص منها [1] .

ولكن سلطان العجم لم يستطع أن ينتصر في ميدان العربية ، ويحط من شأنها ، فالدين الغالب أجبر الجميع على تعلمها وخدمتها وترقيتها ، بل شارك الجميع في حياطتها من أعدائها المتربصين بها ، ولم تجد دعوات الشعوبية سبيلا لى الازورار عن اللغة العربية بل إن بعض المتعصبين من الشعوبيين أنفسهم اتخذوا العربية لغتهم ولم يجعلوها موضع نزاع ولا عدلوا بها لغة أخرى ، و الحق أن كراهتهم للعرب لم تكن كراهية للغة العربية ، وأصدق شاهد على هذا أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي (ت 209 هـ / 824 م)كان شعوبيا ،من يهود فارس ، كان يُبْغِض العرب، وألف كتابًا في مثالبها[2].ولكنه خدم العربية وأجاد في حفظ لغتها و أدبها .وذهبت دعوات العامية والخروج على نحو العرب وسليقتها ولم تجد آذانا سميعة ، وظلت اللغة العربية لغة الدين والعلم ، وإذا كان القرن الثاني الهجري قد تفشى فيه اللحن بين العامة و الخاصة ، وأصبحت إجادة الفصحى صناعة يصلح بها اللسان العربي ، فإن القرون التي تلت تجلت فيها جهود العلماء و الخلفاء و المثقفين ممن نذروا أنفسهم لخدمة اللغة العربية ،خدمة للقرآن أو تقربا من الفاتحين .

4. تجليات الأمن اللغوي في جهود الخلفاء والأمراء و الوزراء (نماذج مختارة)

1 . أحمد أمين . **ضحى الإسلام** ، ط10، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د، ت) ، ج1/ص 68-70.

2 . الزبيدي . **طبقات النحويين واللغويين** . ص 175.

أدرك الخلفاء والأمراء و الوزراء أن العلم هو سياج الدولة وعمادها ، وأن المجد يدور مع العلم وجودا وعدما ، وأن العلماء هم مشاعل الحضارة ورواد النهضة ، فهم سدنة الفكر ، وحراس الهوية ، والأمناء على لغة الأمة وتراثها ، فأنعموا عليهم بالأفضال ، وأكرموهم بالأعطيات ، وقربوهم في المجالس ، حتى قال ابن القفطي واصفا الخليفة القائم بأمر الله (ت 464هـ /1075م) :" وكانت أيامه منيرة بالعدل ، مزهرة بالعلم و الفضل ليلا ونهارا ، يستأنس بالعلماء ومحاضرتهم ، والأدباء ومحاورتهم "[1] .

وقد ذكر الغساني أنه من أوجب واجبات السلطان أن يهتم بالعلم وأهله ، ويعمد إلى الفضلاء من أهل الحجى فيجالسهم ويحاورهم ويستفيد منهم ، لما في ذلك من أثر في نفسه ، وإخصاب في عقله ، ونفع في سياسته ، فيقول :" وينبغي أن يكون الملك كثير الاعتناء بمجالسة العلماء الصلحاء ، والأدباء الفضلاء ، فإن في ذلك تلقيح للعقل ، وتهذيب للنفس "[2].

ولعل ظروف العصر من تطور العلوم ، واستبحار المعارف ، واهتمام الناس بكل ما يمت إلى الفكر و الثقافة جعل نفوس الحاكمين تتوق إلى حب العلم ، وتقريب العلماء ، بل والمشاركة في النقاش العلمي القائم في جميع مجالاته العقدية و الفلسفية و الفقهية وغيرها ..

ويمكن أن نتناول في هذا المقام من اهتم منهم بميدان اللغة ، وسعى في أمنها والحفاظ عليها من خلال رعايته لعلمائها ، فهذا الخليفة العباسي المتوكل (ت 247 هـ / 861م) يجتمع في جو من الحوار و النقاش مع الأدباء واللغويين في قصره ، ولم يكن موقفه موقف المتفرج ، بل يدلي بدلوه في الحوار القائم وكأنه واحد منهم ، وعندما حضر في إحدى جلساته أبو عثمان المازني ، وأبو يوسف ابن السكيت قال لهما ، تكلما في مسالة

---

1 . ابن الفوطي ، كمال الدين . **مجمع الآداب في معجم الألقاب**. تحقيق :محمد الكاظم،ط1، إيران : مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1416 هـ، ج3/ص159.

[2] . الملك الأفضل الغساني . **نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء** . تحقيق : نبيلة عبد المنعم . بيوت : دار الكتاب العربي ، (د، ت) ، ص 43-44.

نحوية ، وبعد حديثهما فيها وجواب المازني على سؤال ابن السكيت ، قال المتوكل :" هذا هو الحق " [1] ، وقول الخليفة هذا دليل على معرفته بالموضوع ، وحكمه فيه بأنه حق ، وخاصة وهو أمام عالِمين من جهابذة النحو و اللغة في زمانه .

ولما كان الشعر ديوان العرب ، وبه حفظت لغتهم ، وتواريخ وقائعهم ، ومظاهر اجتماعهم ، وملامح ذائقتهم وخلاصة تجاربهم ، و الشعر وعاء اللغة ومستودعها ، حتى قيل إن الحارث بن نوفل دخل بابنه عبد الله إلى معاوية ، فقال: ما علّمتَ ابنك؟ قال: القرآن والفرائض. فقال: روّه من فصيح الشّعر فإنه يفتّح العقل ، ويفصّح المنطق ، ويطلق اللسان ، ويدلّ على المروءة والشجاعة" [2] . ، فإن الخلفاء و الأمراء اهتموا به وأكرموا أهله ، حتى قيل :" ما أعطى خليفة شاعرا ما اعطى المتوكل " [3]..

كما أن الخليفة المعتضد (ت 289هـ / 901م) كان موهوبا في الشعر ، صاحب قريحة وذوق ، يغشى مجالس الشعراء ، ويجري المحاورات معهم ، كما جرى بينه وبين نديمه يحيى بن علي المنجم (ت 300 هـ / 912م) [4] ، وهذا دليل على اهتمام الخليفة بأدب العربية ، ومهارته في شعرها .

---

[1] . جمال الدين القفطي .**إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1،القاهرة: دار الفكر العربي ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1982م، ج1/ص 284.

[2] . الحسن العسكري . **المصون في الأدب**. تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط2، الكويت : مطبعة حكومة ، 1984 م، ص136.

[3] .عبد الملك العصامي . **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**. تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، بيروت : دار الكتب العلمية ، (د،ت) ، ج3/ص464.

[4] .الهجراني . أبو محمد الطيب . **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. ط1، جدة : دار المنهاج ، 2008 م، ج2/ص665.

أما الخليفة المكتفي (ت 295هـ / 907م) فقد رعى الأدباء و النحاة ، وأجزل لهم العطاء ومن بينهم أبو إسحاق الزجاج ((ت 311 هـ /923م) النحوي صاحب التصانيف اللغوية العديدة[1] .

كما اشتهر من خلفاء بني العباس بالشعر و العناية به الخليفة الراضي (ت329هـ /940م) الذي وصفه نديمه أبو بكر الصولي بقوله : " أحسن الناس علماً ، بالشعر ونقداً له كما ينقده العلماء به ، وإنه من أطبع ملوك بني العباس في الشعر وأكثرهم شعراً..."[2].

ولم يكن الراضي مجرد ناظم للشعر ، بل كان ناقدا له أيضا ، ومن ذلك أن الراضي أرسل جوابا إلى الصاوي على قصيدة بعث بها إليه الأخير ، قائلا فيه : " قد استحسنت الشعر غاية الإستحسان ، ورأيتك تكلفت فيه ما لا يجب عليك من لزوم الواو في أرداف القافية..."[3] .

وإذا كان هذا شأن الخلفاء فإن الأمر نفسه كان مع الأمراء ، فقد ظهر في دولة بني العباس أمراء ولعوا باللغة العربية شعرا ونثرا ، وأحاطوا سدنتها بكل رعاية وعطاء وإكرام ، وخير مثال على ذلك عبد الله بن المعتز (ت296هـ /908م) ، الذي أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما ، وكان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم ، وقد قال يوما حين قدم على أستاذه اللغوي أبي العباس ثعلب مُظهرا قوة صلته به ، ومحبته إياه ، وافتقاده حين يغيب عنه :" كان أبو العباس محمد

---

[1]. الزبيدي ، ابو بكر محمد بن الحسن . **طبقات النحويين واللغويين** . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة : دار المعارف ، (د، ت) ، ص111. القفطي . **إنباه الرواة** . ج1/ص194.

[2] . أبو بكر الصولي . **أخبار الراضي بالله والمتقي لله** . تحقيق : ج هيورث دن، مصر : مطبعة الصاوي، 1935 م، ص19.

3 . المصدر نفسه . ص80. زيني بن طلال الحازمي . **الحياة العلمية في العراق خلال عصر نفوذ الأتراك . (232-334هـ /847-946م)** . رسالة ماجستير -كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، 2000م ، ص 72.

بن يزيد النحوي المبرد يجيئني كثيرا إذا خرج من عند إسماعيل القاضي لقرب داره من داري وكنت لقيت أبا العباس أحمد بن يحيى في المسجد الجامع فكان يتشوقني ويعتذر من تأخره عني.." [1]

كما وصف أبو بكر الصولي ابن المعتز وكان من خلصائه وجلسائه مبينا علو شأنه في الشعر و النثر فقال :" اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبى العباس عبد الله بن المعتز ، وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعبا من شعابه ، وأوردنا أحسن ما قيل فى بابه... فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبى العباس ما غاض معه معينه ، ولم ينهض حتى زوّدنا من برّه ولطفه نهاية ما اتسعت له حاله." [2] .

وإلى جانب الخلفاء و الأمراء انبرى كثير من الأعيان في الدولة العباسية في عصرها الثاني إلى الاهتمام بعلوم العربية والإجادة فيها شعرا ونحوا وبلاغة ، وخير ما يمكن ان نذكره أنموذجا لهذه الطبقة من النخبة المتنورة: الوزير ابو محمد الفتح بن خاقان (ت. 247هـ/861م) ، كان أثيرا عند الخليفة المعتصم ، في حين استأثر الفتح بحظوةِ أبعد غوراً وأمتن عند الخليفة المتوكل ، فاتخذه أخاً وخلاً ، ونديماً ، ووزيراً ، بل وأكثر من ذلك ، فقد كان المقدَم على سائر أهله وولده،وله القول الفصل ، وكانت له اليد الطولى في تدبير شؤون الخلافة وتيسير أمورها ، عُرف بالفطنة والذكاء وحسن الأدب...وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسنا ، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين[3]. وبالرغم من فارسيته إلا أنه عشق العربية

---

[1] . ابن عساكر .أبو القاسم علي بن الحسن . **تاريخ دمشق**. تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995 م، ج11/ص276.ابن خلكان . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق : إحسان عباس، بيروت : دار صادر ، ج3/ص76.

[2] . الحصري ، إبراهيم بن علي . **زهر الآداب وثمر الألباب**. بيروت : دار الجيل، ج4/ص1047-1048.

3 . ياقوت الحموي . **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. تحقيق : إحسان عباس ، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1993 م ، ج5/ص2157.

، ولاشك أن مجلسه لا يخلو من المناظرات و المحاورات التي تثري العربية ، وتمد في رواقها ، وتزيد في مقارعتها لكل دخيل يهدد أمنها .

ومع مجيئ البويهيين إلى حكم بغداد سنة 334هـ/945م عمل بعض أمرائهم على تشجيع اللغة الفارسية بُغضا في العربية التي يرون أن أهلها أطاحوا بدولتهم وأذهبوا سلطانهم ،وكان بعضهم يبرر عدم الحديث بها خوفهم من الوقوع في الخطأ في العربية مما لا يصلح للملوك ، كما اتخذوا مترجمين ومن ذلك أن " معز الدولة لما جاء إلى بغداد وملكها احتاج إلى من يترجم له كلام الوزير علي بن عيسى ".

ولكن ذلك لم يكن ديدن جميع من حكم من بني بويه بل ظهر فيهم من عشقوا اللغة العربية شعرا ونثرا ونحوا ، ورعوها حق رعايتها ، مكرمين لعلمائها ، واصلين لهم بالعطاء والكرم ومن بين هؤلاء يمكن أن نذكر:

الأمير عضد الدولة فناخسرو بن حسن البويهي (ت372هـ /989م) الذي كان أوسع الأمراء البويهيين سلطانا ، وملكا ، ودانت له الأمم ، وكان بطلا شجاعا مهيبا ، نحويا ، أديبا عالما ، ... شارك في العديد من الفنون الأدبية ، مقربا ومكرما للشعراء والأدباء والكتاب ، حاثا لهم على التصنيف في فنون العلم و الأدب ، فضلا عن اهتمامه بالشعر و الشعراء ، بل ويزور بعضهم كما كان يفعل مع أبي الطيب المتنبي (ت354هـ /965م) ، وأبي الحسن السلامي (ت 393هـ /1002م) الذي أكثر في مدحه[1] . وله صنف أبو علي الفارسي ، كتابي (الإيضاح في النحو). و (التكملة في الصرف) وكتاب الإيضاح مع قلّة حجمه يوفى على الكتب الكبار التي من جنسه فى قوة عبارة وجودة صنعة. وحكى أبو طالب أحمد بن بكر العبدى صاحب كتاب شرح الإيضاح:" أنّ عضد الدولة كان ضنينا بهذا الكتاب محبّا للاختصاص بقراءته دون كل أحد وإنّ رجلا توصل الى كتبه بخطه بحيلة ، فأمر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب فى نفسه وحلاوته فى قلبه حتى سئل

[1] . شمس الدين الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ط3، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1985 م ج246/16

فى أمره فعفى عنه" [1].وهذا يؤكد على أهمية الكتاب عند الأمير ، وإداركه قيمته العلمية في ميدان النحو واللغة .

وقد كان عضد الدولة البويهي يدرك التسلل الشعوبي في عصره ، لغمز العربية ورميها بالنقص ، من طرف علماء تخصصوا فيها ، ووازنوها بما ورثوه من تراثهم الثقافي و اللغوي من مثل ما فعل حمزة بن الحسن الأصبهاني2 الذي كان عالما فيكثير من الفنون وله تصانيف فى الأدب جميلة ، منها : كتاب الموازنة بين العربى والعجمىّ؛ وهو كتاب جليل ، دلّ على اطلاعه على اللغة وأصولها ، لم يأت أحد بمثله ، صنّفه للملك عضد الدولة بن بويه ، وكان ينسب إلى الشّعوبية ويتعصب على الأمة العربية3.وعليه فقد عدل في إفساح المجال لعاماء العربية الأفذاذ على أن يخدموها ، ويردوا غوائل الشعوبية عنها ن سواء في خدمة نحوها أو العلوم التي تعتمدها ومنها علم القراءات الذي يقوم على أساس اللغة واختلاف لهجات العرب وطرائقها في القول ، فصنفت في أيامه المصنفات الرائقة ومنها: كتاب (الحجة فى القراءات السبع) ، وهو كتاب ليس له نظير فى جلالة قدر واشتهار ذكر" [4].

---

1 . ابن مسكويه . **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تحقيق :أبو القاسم إمامي ، ط2، طهران : سروش، 2000 م، ج7/ص88.

[2] . حمزة بن الحسن الأصبهاني : كان مشهورا بالفضل شائع الذّكر. له تصانيف، منها: كتاب التاريخ الكبير لأصبهان، وكتاب الأمثال على أفعل ، وكتاب أصبهان وأخبارها، وكتاب التشبيهات، وكتاب الأمثال الصّادرة عن بيوت الشّعر، وكتاب أنواع الدّعاء، وكتاب التنبيه على حروف التصحيف ، وكتاب التماثيل في تباشير السّرور، وكتاب جمع فيه أخبار عشرة من الشّعراء المحدثين أولهم بشار بن برد، وشعر أبي نواس، وشعر أبي تمّام، وكتاب المضاحك من الأشعار ، وكتاب تعداد أعياد الفرس... انظر : تاج الدين ابن الساعي . **الدر الثمين في أسماء المصنفين**. تحقيق : أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، ط1،ن تونس : دار الغرب الاسلامي، 2009م.ص364،

3 . القفطي . **إنباه الرواة** ..ج1/ص370.

4 . المصدر نفسه .

وخلال القرن الرابع الهجري شعر علماء اللغة بالحاجة إلى منهج جديد يسيرون عليه لخدمة اللغة العربية وتحقيق أمنها من تيارات العجمة وفساد الذائقة ، فراحوا يتناولون النحو العربي بطريقة منظمة ،مع عمل المعاجم على غرار ما استفادوه من علوم اليونان اللسانية ، وكان البحث يدور في مجلس عضد الدولة (ت 371هـ /981م) حول الفرق بين النحو العربي و النحو اليوناني وأصل استنباطهما[1] .

ولم يكن الاهتمام بخدمة اللغة العربية من الخلفاء والأمراء فحسب بل كان في بعض فترات حكم بعضهم من الوزراء الذين نشطوا في خدمة العربية وأدبها كالوزير ابن العميد ، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت366هـ/978م) الذي كان كامل الرئاسة ، جليل المقدار ، متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم والأدب والترسل ، وكانت له اليد البيضاء في الكتابة و الترسل ، حتى قيل: بُدئت بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد[2]. فدعي بالجاحظ الأخير والأستاذ والرئيس ، وكان يُضرب به المثل في البلاغة وينتهى إليه في الإشارة بالفصاحة و جزالة الألفاظ وسلاستها إلى براعة المعاني ونفاستها[3]. صنّف في أدب العربية كتبا منها : كتاب (ديوان الرسائل) ، وكتاب (المذهب في البلاغات)[4] .

أما الوزير الصاحب بن عباد الطالقاني (ت385هـ /995م) الذي كان ملازما للوزير ابن العميد ، وكان أبوه عباد وزيرا للأمير البويهي ركن الدولة ، فقد برّز في اهتمامه بلغة العرب وأدبها وشعرها ، بل كان هو نفسه شاعرا وكاتبا ، يقصده العديد من الشعراء

---

1 . آدم ميتز . **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** . ترجمة : محمد الهادي أبو ريدة، ط5، بيروت : دار الكتاب العربي، ج1/ص434-435.

2 . الهجراني . **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. ج/ص173.

3 . الثعالبي . **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**. تحقيق : مفيد محمد قمحية، ط1، بيروت :دار الكتب العلمية ، 1983م، ج3/ص183.

4 . ابن النديم . **الفهرست**. بيروت : مكتبة خياط، 1964م ، ص 5/ص135. سعاد هادي الطائي . **تطور الحياة العلمية في المشرق الإسلامي وازدهارها في العصر البويهي (334-447هـ/945-1055م)** . مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد(66) تشرين الأول ، 2018م ، ص 180.

والأدباء ، محبا للبلاغة ، خادما لطلاب العلم ، حتى انه أوقف مكتبته على الفقهاء و العلماء في مدينة الري ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب " المجمل " في اللغة ، ولاهتمامه بها صنّف كتابا اسمه (المحيط) في سبع مجلدات ، وكتاب (الكافي الرسائل) وكتاب (الوقف والابتداء) ،و (العروض) و(جوهرة الجمهرة) وكتاب (الفرق بين الضاد و الظاء) فضلا عن ديوان للشعر وديوان للرسائل[1] .

ولمعرفة اللغويين بحب الوزير الصاحب بن عباد للغة العربية وحرصه على صيانتها من الرطانة و اللحن و الغلط ألّف له ابن فارس كتاب (الصاحبي) نسبة إليه ، وهو :"هو كتاب فِي فقه اللغةِ ، وقد سماه بالصاحبي نسبة إلى الصاحب بن عباد ، وكان ابن فارس قدم الكتاب إليه وأودعه خزانته. أما مضمون الكتاب فيدور حول اللغة العربية ، وأوليتها ومنشئها ، ثم يبحث في أساليب العرب في تخاطبهم ، وفي الحقيقة والمجاز..."[2] .

وفي عصر السلاجقة يمكن أن نذكر من وزرائها الذين خدموا اللغة العربية وأولوها عنايتهم الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني (ت 555هـ /1160م) ،الذي وُصف بأنه كان بارا بالعلماء ، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه ، صنّف كتاب (الإفصاح عن معاني الصحاح) شرح فيه (صحيحي البخاري ومسلم) في عشر مجلدات ، وألف كتاب (العبادات) على مذهب أحمد ، وله أرجوزة في (المقصور والممدود) ، وأخرى في (علم الخط) ، واختصر كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت[3] .

---

[1] . القلقشندي . **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. بيروت : دار الكتب العلمية، (د، ت) ، ج3/ص608. الأنباري . **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. تحقيق : إبراهيم السامرائي،ط3، الزرقاء - الأردن: مكتبة المنار، 1985 م، ص238. ابن خلكان . **وفيات الأعيان** .ج1/ص228.

[2] . القزويني ، أحمد بن فارس . **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. ط1، الناشر: محمد علي بيضون، 1997م، ص8.

3 . الذهبي ، شمس الدين . **سير أعلام النبلاء**. ج20/ص426. ابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق : محمود الأرناؤوط، دمشق : دار ابن كثير، ،(د،ت) ، ج6/ص319. ، عمر

5 . تجليات الأمن اللغوي في جهود العلماء (نماذج مختارة)

وهكذا ضايق اللحن الفصاحة والإعراب وصار به يقرأ ويُكتب وهو في كل نادٍ يخطب ، فهبّ العلماء وأرباب البيان ، وأساطين اللغة ينافحون عن لغة الضاد ، ويوفرون للأمة أمنها اللغوي كما يفرون لها أمنها الغذائي و العسكري ..وجعلوا لهذا الدخيل حدودا حتى لا يؤثر على بنية ألفاظ لغة العرب ، فصقلوه بالمصقلة العربية ليماشي ألفاظها ، ولم يعطوا الحق للعربي أن يشتق من هذا الدخيل إلا نادرا . ووضعت قواعد صارمة لقبول الدخيل وأخرى لحفظ اللغة من اللحن لئلا يدخلها ،وصنفوا في لحن العامة على مدى قرون عدة ، وقليل منه أخذ أسماء أخرى ولكنه حوى تصحيحا للحن كأبي زكريا الفراء (ت215هـ /830م) في كتابه (البهاء في ما تلحن فيه العامة) ، وألف ثعلب (ت291 هـ/ 904م) كتابه (الفصيح) ،وقد بنى هؤلاء وجهات نظرهم على أسس مدرستي البصرة و الكوفة[1] ، وصنف أخرون في نفس الموضوع كالإصمعي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو نصر أحمد بن خاتم الباهلي ،وجل مصنفات هؤلاء مفقودة ، ولكنها وردت في بطون الكتب وفهارس المؤلفات ، وفي فترة الدراسة نجد من اشتغل بتصحيح لحن العامة كأحمد بن يحيى ثعلب في كتابه (الفصيح) ، وكتب جاءت تتمة وتذييلا واستدراكا على ثعلب منها كتاب (فصيح الكلام) لأحمد بن فارس الذي كان يرى أن اللغة العربية تفوق اللغات الأخر بامتياز[2] ، وكتاب (فائت الفصيح) لمحمد بن عبد الواحد الشهير بغلام ثعلب (

رضا كحالة .**معجم المؤلفين**. بيروت : مكتبة المثنى، بيروت : دار إحياء التراث العربي (د، ت) ،ج13/ص228.

1- https://www.iqraonline.net.sayyid A.Brief Look at The Development Of Arabic Grammar.

2- Kees Versteegh . Edinburgh : Published by; New edition, 2; NED - The Arabic Language. https://www.jstor.org .University Press.

ت345هـ / 856م) [1].

وممن كان فاتحة لجهود العلماء في مواجهة اللحن في العربية الإمام الكسائي (ت 189 هـ/805 م) في العصر العباسي الأول في كتابه (لحن العامة) ، وكل الكتب التي جاءت بعده أفادت منه وأخذت عنه .ككتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224 هـ/838 م) ، وكتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت 244هـ/ 858 م) ، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت 276 هـ/ 889 م) ، و كتاب (لحن العامة) للزبيدي (ت 379هـ / 989م) ، وقد كان هدف الكسائي حفظ اللسان العربي نقيا لأجل حفظ القرآن ، ويتضح ذلك من خلال شواهده القرآنية التي أوضح بها الصواب اللغوي ، وهي حجة على ما كل ما سواها من كلام الأعراب و العلماء على حدٍّ سواء ، لأن القرآن هو الوثيقة البيانية الأولى التي تبذ كل كلام ، مهما علا قدره ، وسمت فصاحته [2].

وبرز جلة من العلماء خلال الفترة موضوع الدراسة يمكن أن نذكر منهم :

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي البغدادي النحوي المؤدب(ت 244هـ /858م) صاحب كتاب (إصلاح المنطق) كَانَ من أهل الفضل والدين ، موثوقًا بروايته.وكان يؤدِّبُ وَلَد جَعْفَر المتوكل عَلَى الله.وكان المبرد يَقُولُ: ما رأيتُ للبغداديين كتابًا أحسن من كتاب يعقوب ابن السكيت فِي المنطق[3] ، صنف كتاب (القلب والإبدال) وكتاب (النوادر) . وكتاب(الألفاظ) . وكتاب (فعل وأفعل). وكتاب (الأضداد). وكتاب (الأجناس الكبير). وكتاب (الفرق) ، وكتاب (الأمثال) ... وكتاب (سرقات الشعراء وما

---

1 . السيوطي . **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : المكتبة العصرية ، ج1/ص164

2 . آمال هاشم أحمد البربر وآخرون . 2000م ، **جهود العلماء في التصحيح اللغوي حتى القرن الرابع الهجري في ضوء علم اللغة الحديث : دراسة وصفية تحليلية.** رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية- جامعة أم درمان ،السودان ، ص—154.

3 . الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** . تحقيق : بشار عواد معروف، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2002م ،ج16/ص 397.

تواردوا عليه). وكتاب (معاني الشعر الكبير). وكتاب (معاني الشعر الصغير)...وغير ذلك[1].
وجلُّ كتب ابن السكيت مفقودة ، وما ورد من عناوين لكتبه ذكرتها المصادر التي أوردت ترجمته ، وما وصل إلينا تم تحقيقه ونشره ، ولعلّ أهمها كتاب (إصلاح المنطق) ..الذي قال فيه ابن خلكان " ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل " إصلاح المنطق " ، ولا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، ولا نعرف في حجمه مثله ..." [2]. وقد أراد منه صاحبه إصلاح النطق ومعالجة داء اللحن في كلام الناس .
وكتاب (إصلاح المنطق) سجلٌ ضخم لألفاظ العربية ، قدّمه ابن السكيت ليُعلم به الأجيال اللغة العربية السليمة ، ويوفر لها الأمن نطقا وفهما ، مستعينا في ذلك بعلم الأوائل من رجال البصرة و الكوفة والأعراب و الرواة ومن عاصروهم من العلماء في بغداد [3].

وقد صحح في هذا الكتاب التعابير التي ترد على ألسنة الناس في" باب مما يصح قوله وما لا يصح ، يقال: قد أكثرت من البسملة ، إذا أكثر من قوله "بسم الله الرحمن الرحيم" ، وقد أكثرت من الهيللة ، إذا أكثرت من قول "لا إله إلا الله" ، وقد أكثرت من الحوقلة ، إذا أكثرت من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، قال: وحكى لنا أبو عمرو: له الويل والإليل ، والأليل: الأنين ، قال ابن ميادة:
وقولا لها من تأمرين بوامق ... له بعد نومات العيون أليل
أي أنين وتوجع ، وتقول: أطعمنا من أطايب الجزور ، ولا تقل من مطايب ، وتقول: ما رُئي عليهم حفف ولا ضفف ، أي أثر عوز ، ويقال: قوم محفوفون ، وقد حفتهم الحاجة حفاً شديداً ، تحفهم ، إذا كانوا محاويج...."[4] .

---

1 . ياقوت الحموي . **معجم الأدباء** .ج6/ص2841، جمال الدين القفطي . **إنباه الرواة** . ج1/ص143. خير الدين الزركلي . **الأعلام**. ط15، بيروت : دار العلم للملايين، 2002 م، ج8/ص195.
2 . ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج6/ص400.
3 . آمال هاشم أحمد البربر وآخرون .**جهود العلماء في التصحيح اللغوي**...مرجع سابق ، ص7.
4 . ابن السكيت . **إصلاح المنطق**. تحقيق : محمد مرعب، ط1، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 2002 م، ص 217.

وجاء فيه أيضا باب " ومما تضعه العامة في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزَّه ، إذا خرجوا إلى البساتين ، وإنما التنزه التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قليل فلان يتنزه عن الأقذار ، أي يتباعد منها..." [1]. كما أورد بابا في ما يتكلم فيه بالصاد مما يتكلم به العامة بالسين ومما يتكلم فيه بالسين فيتكلم فيه العامة بالصاد:" يقال: هذا نَبِيذ قارص ولبن قارص ، أي يقرص اللسان، ويقال: البرد اليوم قارس ، والقرس: البرد، ويقال: أصبح الماءُ اليوم قريساً ، أي جامداً ، ومنه قيل: سمك قريس، ويقال: ليلة ذاتُ قرس أي ذات برد ولا يقال: البردُ اليوم قارص.."[2]. وكان يستشهد في كل تصويباته بالقرآن الكريم ، و الحديث الشريف ، وأقوال العرب وأمثالهم .

وقد كان لكتاب (إصلاح المنطق) تأثير كبير على المؤلفات التي جاءت بعده ، سواء أكان ذلك في مجال اللحن أو في مجال اللغة و النحو ، وتجلى ذلك في المصنفات التي ذكرته ، والمؤلفات التي اتبعت طريقته في التبويب ، وقد بدا ذلك واضحا في كتاب (لحن العامة) للزبيدي ، أو كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة وغيرهما [3].

ومن بين العلماء الذين ساهموا في حفظ الأمن اللغوي للأمة أديب الفقهاء ومحدث الأدباء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت 286هـ/899م) ، وهو من أغزر علماء العربية إنتاجا ، وأكثرهم تنوعا ، وقد ضرب بسهم وافر في أكثر من فن من فنون الثقافة العربية الإسلامية ، يمده في ذلك ذكاء فطري وموهبة نادرة ، وذاكرة مسعفة ، وشغف قوي بطلب المعارف .

وقد كان ابن قتيبة إلى جانب علمه باللغة أديبًا واسع الاطلاع ، صاحب ذوق وبيان ، ناقدًا نافذ البصيرة ، عالمًا ببواطن الجمال في الأدب ، له مقدمات في أصول النقد الأدبي ، ....سائرا على درب أديب العربية الكبير أبو عثمان الجاحظ ، والأديب الموسوعي أبو حنيفة الدينوري؛ ولذا كان كثير من كتبه الأدبية يدور حول تربية الملكة الأدبية ، وإرشاد طبقة

1 . المصدر نفسه . ص 206.

2 . المصدر نفسه . ص 138.

3 . آمال هاشم أحمد البربر وآخرون .**جهود العلماء في التصحيح اللغوي**...مرجع سابق ، ص16

الكتاب وتعليمهم [1].حتى قالوا : " كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه " [2].

ويمثل كتابه "أدب الكاتب" هذا الاتجاه خير تمثيل ، قدّم فيه ابن قتيبة قدرًا من الثقافة اللغوية الضرورية لكتاب الدواوين في زمانه خاصة ، وللكتاب والأدباء عامة ، ليزودهم بالأدوات التي تعينهم في الكتابة ، وتعصمهم من الوقوع في الخطأ والزلل.وهو في موضوع الأسلوب يبحث في التهجئة الصحيحة والإملاء ، وضبط اللفظ (أو النطق بمفردات اللغة) وتأليف المعاجم وما إلى ذلك [3]. وهذا الكتاب يعد أول كتاب منظم في هذا الموضوع ، لم يسبقه إلا أقوال أو رسائل توجيهية ، مثلما فعل عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكُتاب[4].

وقد عقد في الكتاب بابا سماه (تقويم اللسان) وهو موضوع لتنقية اللغة من اللحن ، ومن الألفاظ غير السليمة ، ووضع كل كلم في موضعه الصحيح ، وجاءت كلها قضايا لغوية لدرء اللحن عن ألسنة الخواص لئلا يتسرب إليهم من العوام ، فنجد من عناوين الكتاب (باب الأفعال التي تهمز والعوام تدع همزها ، باب ما يهمز من الأفعال والأسماء و العوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها "[5] .

وقد نال هذا الكتاب إعجاب العلماء ، حتى أن ابن خلدون عدّه من أمهات كتب الأدب العربي؛ حيث قال: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين ، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان

---

1 . . أنظر : أحمد تمام . ابن قتيبة.. **أديب الفقهاء ومحدث الأدباء** (في ذكرى وفاته: 15 من رجب 286هـ). https://archive.islamonline.net

2 . رحاب خضر عكاوي . **موسوعة عباقرة الإسلام** . ط1، بيروت : دار الفكر العربي، 1993م ، ج2/ص118.

3 . نيولد أ.نكلسن . **تاريخ الأدب العباسي** . ترجمة وتحقيق : صفاء خلصوصي . ط1، بيروت : الدار العربية للموسوعات ، 2011م ، ص184.

4. أنظر : أحمد تمام . ابن قتيبة.. **أديب الفقهاء ومحدث الأدباء** ...مرجع سابق، https://archive.islamonline.net

5 . ابن قتبة . **أدب الكاتب** . ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1988م ، ص241-242.

والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها"[1].

,ومنهم ابن دريد ، محمد بن الجسن (ت321هـ / 932م) لَهُ كتاب (الجمهرة) على حُرُوف المعجم،وَله كتاب (الِاشْتِقَاق) ، وَكتاب (الملاحن) ، وَله شعر كثير ، مِنْهُ " الْمَقْصُور والممدود " ، كَانَ رَأْسا مُتَقَدما فِي حفظ اللُّغَة ، والأنساب ، وأشعار الْعَرَب ..[2] ، وفي قصيدته (المقصورة) أحصى كمًا هائلا من المادة اللغوية و المفردات المعجمية ، وهو لا يقل شأنا عن الخليل كما يقول المسعودي :" انتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب "[3] .

ومن جهود ابن دريد في حياطة اللغة بالعناية و الرعاية من الدخيل فقد " اشتمل معجم الجمهرة على عدد ليس بالقليل من الألفاظ المعربة و الدخيلة ، حتى أنه تجاوز من سبقه في حجم الألفاظ المعربة و الدخيلة التي أوردها ، فالأعجمي المعرب (42) لفظة ، و انلعرب (266) لفظة ، و الدخيل (13) ، وهذه ميزة تفرد بها ابن دريد في جمهرته ، وقد كان تعامله مع هذه الألفاظ بطرق مختلفة ، فتارة ينسبها إلى أصحابها ، وأخرى يكتفي بالاشارة إلى أنها غير عربية مستخدما مصطلحات مثل (معرّب ، وهو دخيل ، اسم أعجمي معرب ، وغيرها من المصطلحات الدالة على ذلك"[4] .

ومنهم أيضا أبو الهلال العسكري (ت395هـ / 1004م) كان عالما باللغة والأدب ومن

---

1 . ابن خلدون . **تاريخ ابن خلدون** . تحقيق : خليل شحادة، بيروت : دار الفكر، (د، ت) ، ج1/ص763.

2 . أبو المحاسن التنوخي . **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**..تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو.ط2، القاهرة : هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،1992م، ص225. ابن الصلاح . **طبقات الفقهاء الشافعية**. تحقيق : محيي الدين علي نجيب، ط1، بيروت : دار البشائر الإسلامية، 1992م، ج1/ص124. ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج 4/ص323. ت

3 . المسعودي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1990م ، ج4/ص391.

4 . هاني عوض الزبن . **جهود ابن دريد اللغوية في الجمهرة والاشتقاق** . رسالة ماجستير-قسم اللغة العربية وآدابها -جامعة مؤتة ، 2010م ، ص

تصانيفه كتاب (التلخيص) في اللغة ، وكتاب (معجم) في اللغة أيضا ، و(جمهرة الأمثال) و(الحث على طلب العلم) و(كتاب الصناعتين : النظم و النثر) وكتاب (ما تلحن فيه الخاصة) و(الفروق) في اللغة.

وقد ساهم أبو الهلال العسكري في حماية التقد من الغزو التيار الأجنبي للثقافة العربية خلال القرن الرابع الهجري وحافظ من خلال تصانيفه في البلاغة ونقد الشعر و النثر امتدادا واستمرارا للنقاد الأوائل في القرن الثاني الهجري الذين جروا في النقد على الأصول العربية ، معتمدا في ذلك على العقل و الذوق معا وتفسير العمل الأدبي مع تطوير الأدوات اللازمة لذلك [1].

والحق أن عصر السلاجقة زاحمت فيه اللغة الفارسية لغة العرب ، ونافستها في الدواوين و المدارس و المجالس ..لقيام السلاجقة عليها ، وتقديمهم لها ، إلا أن العلماء عربا وعجما وقفوا بالمرصاد لنصرة العربية ، والوقوف على قواعدها ، وتأليف معاجمها ، ووضع القوانين لها ، على غرار ما فعل سليمان بن عبد الله النهرواني (ت 493هـ /1099م) قدم بغداد وقرأ بها النحو على الثمانيني ، واللغة على ابن الدهان وغيره ، وبرع في النحو ، وكان إماما فيه وفي اللغة ، ألف كتاب القانون في اللغة لم يؤلف مثله [2].

ومنهم أيضا : أبو حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلى النحوى (ت 501هـ /1107م) ، إمام لغوى محدث حافظ ، من تصانيفه " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان " ، دال على غزارة علمه وكثرة حفظه. ولي قضاء تونس وخطابتها ، وكان يخطب بالخطب البديعة ، كل جمعة خطبة من إنشائه[3].

---

1 . أمل المشايخ . **أبو هلال العسكري ناقدا** . عمان : وزارة الثقافة ، 2001م ، ص 292.

2 . ياقوت الحموي . **معجم الأدباء** .ج3/ص 1381. شمس الدين الذهبي . **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. تحقيق : بشار عوّاد معروف، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 2003 م، ج10/ص739.

3 . مجد الدين الفيروزآبادي . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص220. جلال الدين السيوطي. **بغية الوعاة** . ج2/ص218. الزركلي . **الأعلام**، ج5/ص46.

" وكتابه كما يتضح من عنوانه (تثقيف اللسان) يقوم موضوعه على تصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة بين عامة الناس ، وقد شمل أيضا تصحيح الأخطاء التي تجري على ألسنة المتخصصين مثل : الغلط في قراءة القرآن ، وغلط أهل الحديث ، و الفقه ، و الطب ، و التفسير ، وكذلك تصحيح قواعد الكتابة العربية ، وتصحيح التصحيفات في الألفاظ والأعلام وغير ذلك ، وكذلك شمل الكتاب لحن العامة و الخاصة . وهو أغلب ابواب الكتاب . بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى الهامة " [1]. وقد أورد في أبوابه ما يحصن اللغة من الغلط ، ويحفظها من التبديل كقوله " باب ما جاء ساكنا فحركوه" و" باب ما جاء متحركا فاسكنوه " و" باب غيروه من الأفعال بالزيادة " و" باب ما أفردوه مما لايجوز وما جمعوه ولا يجوز" و" باب ما جاء فيه لغتان فتركوهما " و" باب ما غلطوا في لفظه ومعناه " و" باب ما يجري في ألفاظ الناس ولا يعرفون تأويله " [2]. وغيرها من الأبواب .

ومن أئمة النحو الذين اشتغلوا بإصلاح المنطق ، وضبط لغة العرب على ألسنة الناس يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني التبريزي (ت 502هـ /1109م) وله كتاب ردّ فيه على الشعوبيين من أمثال حمزة الأصفهاني بعنوان (الموازنة بين العربية والأعجمية) ، وله كتاب (أسرار الصنعة في النحو) وكتاب (تهذيب إصلاح المنطق) ، وخدمة منه للشعر العربي وتقريبه من الذائقة العامة ، شرح ديوان (الحماسة) ، كما شرح (المفضليات) وشرح (ديوان المتنبي) [3] .

ومنهم أيضا جمال الدين أبي محمد القاسم الحريري (ت 516هـ /1122م) صاحب التآليف الحسان ومنها : (درة الغواص في أوهام الخواص) ومنها(ملحة الاعراب) المنظومة في النحو ، وله أيضا شرحها ، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات[4]. وهو من الذين حرصوا على حماية اللغة العربية ، وتوفير الأمن لها ، وخاصة

---

1 . ابن مكي الصقلي . **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان** . من مقدمة الكتاب لمصطفى عبد القادر عطا . ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م ، ص 6.

2 . أنظر المصدر نفسه . ص 87، 91، 117، 156، 178، 183، 232.

3 . جمال الدين القفطي . **إنباه الرواة .** ج4/ص28. ابن خلكان . **وفيات الأعيان .**ج6/ص191.

4 . ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج4/ص64.

بعد فشو اللحن بين الخاصة فضلا عن العامة ، و في ذلك يقول في مقدمة كتابه (درة الغواص ...) : " إني رأيت كثيرا ممن تسنموا أسنمة الرتب وتوسموا بسمة الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط في كلامهم ، وترعف به مراعف أقلامهم ، مما إذا عثر عليه أو اثر عن المغزو إلى خفض قدر العلية ووصم ذا الحلية ، فدعاني الأَنَفُ لنباهة أخطائهم ، والكلف بإطابة أخبارهم إلى أن أدرأ عنهم الشبه وأبين لهم ما التبس عليهم واشتبه ..." [1].

وينهج الحريري في هذا الكتاب منهج أصحاب كتب لحن العامة التي تخرج عن المعيارية اللغوية عند الكتاب و المتأدبين و الشعراء والمنشئين وينتقدها مصححا ما فيها من إخلال بقواعد اللغة العربية منبها على أخطائهم وتصويبها[2] .

وقد وضع الحريري (ملحة الإعراب) وشرحها ليقيم اعوجاج الألسن ، ويقرب النحو إلى أذهان الناشئة ، بيد أنه لم ير شرحه الوجيز يثمر في خاصة أهل زمانه وعامتهم ، ، كما أنه وضع المقامات متجها بها إلى علاج اللحن عند الناشئة و المتأدبين أيضا ، مما اضطره ودفعه إلى محاولة الكرة مرة أخرى ، ولكن بأسلوب جديد وطريقة مختلفة ، وهي التصويبات اللغوية فوضع (الدرة) ، لحمل الناس على كلام العرب ، وانتحاء سمت كلامهم[3] .

ويجمل لنا محمد أبو الفضل إبراهيم في أهمية (درة الغواص) ومكانتها في حركة التصحيح اللغوي فيقول : " كتاب درة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد الحريري من أحسن هذه الكتب تأليفا ، وأجملها تصنيفا ، وأعلاها شأوا ، وأعظمها قدرا ،

---

1 . الحريري . **درة الغواص في أوهام الخواص** ، تحقيق : عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ، ط1، بيروت : دار الجيل ، القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي ، 1996م ، ص 38-39.

2 . أميرة حامد محمد الضاوي وآخرون. **الحريري وآراؤه اللغوية من خلال كتابه درة الغواص في أوهام الخواص** .رسالة دكتوراه ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي -جامعة أم درمان -2012م ، ص 4.

3 . أنظر: بسام أحمد علي ربايعة . وآخر ، **الحريري وجهوده اللغوية** . رسالة ماجستير – كلية الآداب -جامعة اليرموك ، 1995م ، ص 155.

تعقّب فيه الكتاب و الشعراء ، وأساليب العِلية من المتأدبين و المنشئين ، ونبّه إلى أخطائهم ، وأشار إلى استعمال الفصيح من الألفاظ ، و المستقيم من الأساليب ، ثم حشا الكتاب بالحكايات الأدبية ، ووشى التصويبات بالنوادر المستملحة ، و الطرائف الجميلة والأشعار الرائقة ، مما جعل هذا السِفر فريدا في الأدب الممتع ، إلى ما اشتمل عليه من الأبحاث الطريفة في اللغة و النحو وعلم الرسم " [1].

وقد اختط الحريري لنفسه منهجا موفقا في التصويبات اللغوية ، إذ إنه لم يكتف بوصف الخطأ و التنبيه عليه وبيان صوابه ، وإنما كان يفسر ويوضح ويسترسل في بيان وجه الخطأ و الصواب ، وياتي ببعض الشواهد القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، و الشواهد الشعرية ، وكلام العرب ، كما كان يأتي ببعض القصص و الحكايات و النوادر عن اللغويين وغيرهم ، تحبيبا للناشئة ، وترغيبا للمتعلمين و المتأدبين ...

وكتاب (درة الغواص) . كغيره من كتب التصويبات اللغوية . يقوم على ركنين أساسيين أولهما : إيراد كلمات أو صيغ أو أساليب تقولها الخاصة أو العامة ، و الحكم عليها بأنها لحن أو خطأ أو وهم . وثانيها : ذكر تصويب هذه الأخطاء ، والاستطراد بذكر بعض القصص و الشواهد التي تتعلق بهذا التصويب [2].

ولم يكتف الحريري بإيراد أوهام المنطق و الدلالة ، بل عالج أمرا آخر عالجه من قبل ابن قتيبة في (أدب الكاتب) وابن مكي الصقلي في (تثقيف اللسان) ذلك هو أخطاء الكتابة والاملاء ، وخصّ هذه الأوهام بمعالجتها في نهاية كتابه ، ومن ذلك حذف الألف من (ابن) في كل موضع ، وعدم التفرقة بين ما يكتب بواو واحدة وما يكتب بواوين ، وعدم التفرقة بين ما يكتب بالألف المقصورة وما يكتب بالياء .. [3].

---

1 . الحريري . **درة الغواص في أوهام الخواص** . تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ،القاهرة : دار نهضة مصر ، ص 4-5. (من مقدمة المحقق) .

2 . ربايعة . وآخر ، **الحريري وجهوده اللغوية**. مرجع سابق ، ص 159.

3 . ا انظر : الحريري . **درة الغواص في أوهام الخواص**. تحقيق : عرفات مطرجي ،ط1، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية – 1998م ، ص 246، ص25، ص252. وانظر :ربايعة . وآخر ، **الحريري وجهوده اللغوية**. مرجع سابق ، ص 164-165.

ومن علماء اللغة خلال هذه الفترة أيضا يمكن أن نذكر أبو نزار الحسن صافي البغدادي (ت 568هـ /1172م) ، الذي لقب بملك النحاة ن وكان يقول :" سيبويه إلا من رعيّتى وحاشيتى" ، من مصنفاته (الحاوى فى النحو) ، و (العمد فى النحو) و (المنتخب فى النحو) ، و(المقتصد فى التصريف) و(أسلوب الحق فى تعليل القراءات العشر وشىء من الشواذ) ، و(التذكرة السّفرية) انتهت إلى أربعمائة كرّاسة.في العروض... [1]

ومن طبقته أيضا أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري الملقب كمال الدين النحوي (ت577هـ /1181م) من أئمة النحو ، تفقه بالنظاميّة على أبي منصور بن الرزّاز وصار أحد المعيدين بها ، وقرأ النحو على الشريف أبي السعادات ابن الشجري ، وأبي منصور بن الجواليقي ، وسمع الحديث على أبيه،صنّف الكتب في النحو واللغة ، منها: كتاب (الجُمل في الجدل) وكتاب (الإغراب في جدل الإعراب) وكتاب (الفصول في معرفة الأصول) في النحووكتاب (المعتبر في الفرق بين الوصف والخبر) و كتاب (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) ، و كتاب (أسرار الْعَرَبيَّة فِي النَّحْو.) وكتاب (الاسما فِي شرح الاسم) وكتاب (اصول الْفُصُول فِي التصريف) وكتاب (الالفاظ الْجَارِيَة على لِسَان الْجَارِيَة.) وكتاب (الانصاف فِي مسَائِل الْخلاف بَين الْبَصرِيين والكوفيين) وكتاب (الانوار فِي الْعَرَبيَّة) . وله في النحو واللغة ما يزيد على الخمسين مصنفًا ،وله شعر حسن [2]. كل هذه خدمة للغة العربية وتوفير الأمن لها في حياة العرب و المسلمين .

ومنهم أيضا جمال الدين أبو الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي (ت597هـ / 1200م) صاحب كتاب (تقويم اللسان) ، عالم العراق وواعظ الآفاق ، الحافظ ، و المفسر والأديب شيخ وقته وإمام عصره ، برز في علوم كثيرة وفنون عديدة ، وبلغت مؤلفاته

1 . ابن عساكر. **تاريخ دمشق.** ج13/ص71. ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج2/ص92.

2 . ابن الفوطي. **مجمع الآداب** .ج4/ص175. حاجي خليفة . **سلم الوصول إلى طبقات الفحول.** تحقيق : محمود عبد القادر الأرناؤوط، إستنبول - تركيا : مكتبة إرسيكا، (د، ت) ، ج2/ص264. البغدادي ، إسماعيل بن محمد الباباني . **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.** استنبول : وكالة المعارف الجليلة ، 1951م ، ج1/ص519.

أوج الشهرة و الذيوع في عصره ، وما تلاه من العصور ، وقد عاش في ظل حكم السلاجقة وهو الطور الأخير من دولة بني العباس .

اشتهر بالوعظ وجلس للتدريس في بغداد وهو صغير ، وقد جمع الله له الخلق ، وألقى عليه المهابة و الوقار ، فجلس إليه الخلفاء والأمراء و الوزراء و العلماء والأعيان ، لما عرف عنه من زهد وتقلل ، وخشية وتبتل ،ولكنه الوقار الذي تزينه الفكاهة و التندر و الظرف ...قال عنه الرحالة ابن جبير الذي حضر مجلسه :" آية الزمان ، وقرة عين الإيمان ، رئيس الحنابلة ، و المخصوص في العلوم بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، و المشهود له بالسبق الكريم في البلاغة و البراعة ، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر....[1] .

قال عنه ابن كثير : " أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحوا من مائتي مجلدة ...وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها ، وحصر أفرادها ، منها كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير ، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور ، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي ، وله كتاب المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلدا ، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيرا منه من حوادثه وتراجمه ... وله مقامات وخطب ، وله الأحاديث الموضوعة ، وله العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، وغير ذلك[2].

وسبب تأليف ابن الجوزي لكتابه (تقويم اللسان) هو أنه :

1. رأى كثيرا من المنتسبين غلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول جريا على العادة .

وتدل العبارة الأخيرة على أن الجميع كانوا يتكلمون في لهجات خطابهم العادية لهجة واحدة ، لا فرق بين خاصتهم وعامتهم .

---

1 . ابن جبير . **رحلة ابن جبير**. بيروت : دار ومكتبة الهلال، ص 176.

2 . ابن كثير . **البداية و النهاية** . تحقيق : علي شيري، ط1، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1988م . ج13/ص35.

2. رأى بيان الصواب اللغوي فيما يخطئون فيه متناثرا في الكتب اللغوية وجمعه يثقل على المتكاسل .
3. رأى الذين ألّفوا فيما تلحن فيه العوام لم يحققوا الغرض المنشود من هذا التأليف " فمنهم من قصر ، ومنهم من ذكر نلا يكاد يستعمل ، ومنهم من ردّ مالا يصلح ردُّه " فقام ابن الجوزي بانتخاب ما قدر صلاحه من مادة هذه الكتب ، وكان لا يزال شائعا في عصره ، مع رفض الغلط الذي لا يخفى وجه الصواب فيه ،إذ لا داعي لذكره [1].

وقد سار ابن الجوزي على منهج من سبقوه من أمثال ابن قتيبة والإصمعي و الحريري و الجواليقي وغيرهم في التصحيح اللغوي واختيار الأفصح من بين كلام العرب ، ويعد كتاب (تقويم اللسان) من الكتب المختصرة إذ يكتفي فيه ابن الجوزي بإيراد اللفظ الصواب ، ويضبطه باللفظ ، ثم يذكر ما تقوله العامة ويضبطه باللفظ ايضا ، وقد يستشهد أحيانا ، وقد يورد بعض الأخبار في حالات قليلة . وفي حالات أخرى ربما أورد السند على ما جرى عليه في كتبه الأخرى ، ومثال ذلك : قوله : تقول أو وتقول مثل :" تقول استُهتر فلان بكذا ، ثم يضبط الكلمة بقوله : بضم التاء الأولى وكسر الثانية ، على ما لم يسمَّ فاعله " ثم يذكر ما تقوله العامة بقوله :" و العامة تفتح التاءين ، وهو خطأ " ،" وتقول : أرعني سمعك ، و العامة تقول : أعرني " ، و" تقول سَهُل الشيء ، بفتح السين وضم الهاء ، و العامة تضم السين وتكسر الهاء " [2].

6 . الخاتمة ونتائج البحث

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى ما يلي :

1. التاريخ منجم للخبرات و التجارب وما حققه السلف في حفظ اللغة العربية وما بذلوه من جهود في صيانتها من اللحن و الدخيل و التصحيف و

1 . ابي الفرج بن الجوزي . **تقويم اللسان** . تحقيق : عبد العزيز مطر ، ط2، القاهرة : دار المعارف ، (د، ت) ، ص 23.

2 . المصدر نفسه . ص 28-29.

التحريف فإن الأمة اليوم قديرة على الفعل الحضاري الذي يستطيع معاودة إرجاع اللغة العربة إلى ميدان الحضارة من جديد.

2. أمن اللغة يرتبط ارتباط وثيقا بهوية الأمة وعقيدتها ، ومفاهيمها وتصوراتها عن الإنسان و الكون و الحياة .

3. استطاعت اللغة العربية أن تستوعب مضامين الوحي ، وتكون المرجع في الاحتجاج ، وتستوعب مناشط الحياة ، ومجالات العلوم ،ومسالك التمدن ، مما جعل الحرص على أمنها مهمة الخاصة تصنيفا وتأليفا ، ومباركة العامة تعلقا وتحقيقا .

4. لم يكن الفتح الإسلامي فتحا عسكريا فرض الغالبون فيه لغتهم على المغلوبين ، بل تفاعلت لغة الفاتح مع ثقافة أهل البلاد المفتوحة تأثرا وتأثيرا ، فلم تصبح العربية لغة الأعرابي في البادية فحسب بل لغة الحاضر في المدينة ، بعد ما استوعبت كل مواريث الأمم الداخلة في دينها ، وانصهر كل ذلك في بوتقة واحدة جعل منها اللغة الأولى في العصر الوسيط دون القضاء على لغات الآخرين بل ظلت الشعوب تنطق بألسنتها تعلقا ، وتلهج بالعربية تعلما و تعبدا .

5. كان لعدد من العلماء أثر في تثقيف عدد من الأمراء و الوزراء وتأديب أبناء الخلفاء فظهر منهم محبون للأدب و اللغة و الشعر...مما أنعش العربية ومدّ رواقها ، وجعلها لغة العلم زمنا ليس بالقصير.

6. لم تكن خدمة اللغة العربية و المبالغة في تقديسها في فترة من تاريخ المسلمين رد فعل لتعصب الشعوبية ، بقدر ما كان خدمة للغة الوحي الأعلى : من كتاب حكيم وسنة مطهرة .

7. إمعانا في خدمة العربية وقواعدها و الخوف عليها من الضعف و التلاشي عمد بعض العلماء إلى مزج النحو بالمنطق ، على نحو ما فعل (الرماني) ، حيث راعى في النحو التقسيمات المنطقية ، وعلّل الأحكام تعليلا منطقيا ، ولعل انتشار الفلسفة اليونانية كان سببا في ذلك ، و الجدل الذي كان قائما حول أفضلية النحو العربي أم النحو اليوناني . كما حكى ابو حيان التوحيدي

في (المقابسات) .

8. التوليد اللغوي ضرورة حضارية تختلف من زمن إلى آخر ، وعندما تنشأ حاجات فكرية واجتماعية فإن الأقلام والألسنة تنشط إلى هذا التوليد ، وإن كان قديما ظل خارج حرم اللغة ، فإن العصر الحديث اعتبره العلماء ضرورة لا بد منها لمسايرة العصر وتطوراته ، وبدلالات تختلف عما كانت عليه في عصر الاحتجاج .

9. عنصر التحدي والاستجابة بارز في منازلة اللغة العربية للغات التي صارعتها وضارعتها فعلى قدر التحدي كانت الاستجابة .

10. لما كانت اللغة أداة غير محايدة في فإن حكام اللدولة العباسية أعدوا جيوشا من المترجمين في دار الحكمة وغيرها لنقل علوم الأوائل غلى اللغة العربية ، على غرار ما فعل المأمون (198-218هـ /813-833م) في العصر الذهبي للترجمة في الحضارة الاسلامية .

11. لم تكن تصويبات اللغويين وصفا للحن وإعلاما به ، بل كانت تصويبات معيارية صارمة تحمل الخاصة قبل العامة على الأداء العالي و المنطق الفصيح .

12. اللغة العربية لغة إعراب ، ولكنها استوعبت الدخيل ، ولم تستوحش منه ، وبعد صقله جعلته جزءا منها ، ومخزونا من تراثها اللفظي و الدلالي .

7. توصيات :

1. دعم اللجان المتخصصة في مجامع اللغة العربية لتنفيذ مشروعاتها العالقة وذلك من خلال غعداد القواميس و المعاجم التي تلبي الحادات المتجددة ن مع الاحتفاظ بفصاحة العربية وصفائها . (كالمعجم التاريخي للغة العربية) الذي يتم إعداده في مجمع اللغة العربية بالشارقة ، وسوف يرى النور قريبا إن شاء الله .
2. الأمة العربية مطالبة اليوم باستعادة دورها الريادي للحضارة الإنسانية وبلغتها الأم التي كانت يوما ما لغة الرياضيات و الفلك و الطب و الصيدلة و الفلك...ولا أحد ينكر أن هذه العربية استوعبت إبداع الأوائل

وترجمته ونقّحته وأضافت إليه .

3. إن العجز الذي تعانيه العربية اليوم ناتج عن عدم وضع مشروع التعريب في الموضوع اللائق ، وبذل الجهد المطلوب فيه ، ووضعه في سلم الأولويات في السياسة العربية . و الدخول باللغة العربية في معترك الحياة ، تصارع الوافد ، وتستوعب الجليب ، ويكون لها حظ وافر من الحضور في حياة الناس ..وإلا سوف تنزوي هذه اللغة وتنعزل وترضى بأن تختص بااكتاب المقدس ، وتراتيل الأدعية ، مما يتيح للغات الأخرى أن تخترق ثقافة المجتمع وتتسلل إلى ألسنة الناس وهذا هوا المسخ الذي ليس بعده إلا الفناء .

4. إن أي تخطيط للنهضة في بلاد العرب لا بد أن تكون قاعدته اللغة ، بعيدا عن التفكير في الوحدة السياسية التي ارتبطت دوما في الأذهان أنها السبيل إلى هيمنة اللغة وانتصارها ، وتعزيز قوتها ، وتوسيع نطاقها .

5. إدخال اللغة العربية إلى عالم الحوسبة ، وتطوير أدائها في الشبكات الرقمية ، وتقليص الفجوة الهائلة بينها وبين اللغات الأخرى في هذا الفضاء اللاحب ، ولعل ذلك يحتاج إلى قرار سياسي كما كان ذلك في التاريخ الزاهر ، يوم كان الحاكم رديف العالم في نصرة اللغة وحراستها وتوفير الأمن لها .